مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
مؤتمر اللغة العربية وآدابها الدولي الثاني // أربيل 30 - 31 / 7 / 2025
doi.org/10.52866/esj.2025.25

مساهمة ابن مقلاش الوهراني
في إثراء علوم البلاغة - قراءة في الشرح المتوسط للبردة -

سميحة بوقرومي
كلية العلوم الإسلامية / الجزائر

المستخلص:

بعد إشراق البلاغة العربية وتألقها حينا من الزمن، باتت مثقلة بأعباء المنطق والفلسفة ، كدرة بكثرة الشروحات والتعليقات والتلخيصات ؛ حتى طغت عليها العجمة ، وأصبح اللبيب الحاذق من حصل طرائقها ، وأتقن صورها.

ومع ظهور العصور الوسطى ازداد الاهتمام بالبيان المطلع على أسرار اللغة العربية ، وكثرت المقاربات الكاشفة عن جواهر التعبير اللغوي .

ولعل من الدارسين الذين عنوا بعلم البلاغة وما يحويه من مباحث، العالم الجزائري ابن مقلاش الوهراني في مؤلفه: «شرح البردة البوصيرية –الشرح المتوسط–» . والمتتبع لمؤلفه يجده قد تفنن في شرحها بدافع التأمل والتدبر.

وإذ نسعى من خلال هذه المقاربة العلمية إلى استجلاء مباحث البلاغة في شرحه لنص البردة البوصيرية ، عند اللغوي الجزائري «ابن مقلاش الوهراني» ، ومدى مساهمته في تطوير علم البلاغة، انطلاقا من قراءة استكشافية لمفهوم البلاغة ، ثم محاولة مناقشة المسائل البلاغية عنده مبرزاً وناقلاً مذاهب وأقوال البلاغيين حولها ؛ كالجرجاني وابن رشيق وغيرهم ... مما يبين استفادته من التراث البلاغي. ومن أهم الملاحظات على منهجه البلاغي أنه لم يترك علماً من علوم البلاغة إلا وطرقه بالإشارة والحديث ، وإن كانت متناثرة حسب ما يستدعيه الشرح ، مما يدل على تصوره النظري لتقسيمات المباحث البلاغية، وبناء شرحه على ذلك . وبناء على هذا المد الزاخر ارتأينا أن يكون مدار بحثنا حول جهود ابن مقلاش في التطور البلاغي ، وأثر ذلك في إثراء اللغة العربية.

الكلمات المفتاحية: ابن مقلاش الوهراني، المباحث البلاغية ، التجديد ، البردة البوصيرية .

Title of the Presentation: "Ibn Maqlash al-Wahrani's Contribution to the Enrichment of Rhetorical Sciences: A Reading in the Intermediate Commentary on al-Burda"

Bougerroumi Samiha // the Faculty of Islamic Sciences Algeria

Abstract :

After a period of flourishing, Arabic rhetoric became burdened by the complexities of logic and philosophy, overshadowed by extensive explanations and commentaries, whichh led to foreign influences dominating the field. As a result, only the most skilled minds could fully comprehend its intricacies. In the medieval period, however, interest in Arabic rhetoric, particularly Its deep linguistic aspects, grew, and new analytical approaches revealed the core of linguistic expression.

One notable scholar In this field Is the Algerian scholar Ibn Maqlash al-Wahrani, who contributed significantly to the study of rhetoric through his work "Sharh al-Burda al-Busiri - The Medium Commentary." His commentary reflects deep reflection and contemplation. This study examines hIs approach to rhetoric, focusing on the topics he addressed in hIs commentary on Al-Busiri's Burda. It also explores his contributions to the development of rhetorical science, incorporating the views of major rhetoricians like Al-Jurjani and Ibn Rushiq, thus highlighting his engagement with the rhetorical tradition.

A key observation of Ibn Maqlash's method Is his comprehensive treatment of rhetorical branches In his commentary. While his discussions are dispersed throughout the work, they reveal a clear theoretical framework and structure for understanding rhetorical topics. This research emphasizes Ibn Maqlash's role In the evolution of rhetoric and its impact on enriching the Arabic language.

Keywords: Ibn Maqlash al-Wahrani, rhetorical studies, Innovation, Sharh al-Burda al-Busiri.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

تعد «البردة البوصيرية» قصيدة معروفة وخالدة في المديح؛ حيث طرق بابها عديد الملهمين؛ من منشد وشارح ومقلد؛ من أبرزهم عبد الرحمان ابن مقلاش الوهراني علامة القرن الثامن للهجرة.

وقد ظل كنزاً مختناً حينا من الدهر، ومتوارياً عن الأبصار، لا يكاد يرسو على شاطئه باحث؛ رغم مبلغه من العلم والدين، إلى أن أتاح الله له الظهور بأول التفاتة إليه: بتحقيق شرحه المتوسط ودراسته، لتتبع تلك العقبة بهذا البحث، الذي يقود القارئ إلى أبرز المباحث البلاغية في الشرح المتوسط للبردة البوصيرية لهذا العالم الأغر.

إن الباحث في أعماق البردة البوصيرية يجد موروثا زاخرا، لكن المستقرئ للموازنات التي تناولها ابن مقلاش يجدها قليلة، وخاصة الباقية منها، ومن ثم يكتسي هذا الموضوع أهمية بالغة في مجال خدمة اللغة العربية؛ بتبيين الخدمة التي قدمها هذا العالم في مجال البلاغة. وهذا ما يدفعنا لطرح الإشكالات التالية:

ما هي معالم منهج ابن مقلاش في عرض القضايا البلاغية في الشرح؟ وهل يعد التفكير البلاغي معلماً من المعالم التي تميز الشرح انطلاقا من مقاربة المقاييس المعتمدة، والمنهج المتبع؟ وما محل هذا الشرح من التقليد والتجديد؟.

ولأجل كشف تطور منهج ابن مقلاش في تطوير البلاغة، والوقوف على أهم الأسس والخاصيات التي يمتاز بها والغايات المرجوة منه وجب اتباع المنهج الاستقرائي التحليلي الوصفي؛ الملائم لتتبع عرض المباحث والمسائل البلاغية في الشرح، ومناقشتها حيث يتجلى الاستقراء من خلال عرض أقوال ابن مقلاش واستقرائها، أما التحليل و الوصف؛ فيظهر من خلال تحليل بعض هذه المسائل، وقد اعتمدت على عدة مصادر ومراجع؛ من أبرزها

- الشرح المتوسط للبردة البوصيرية لعبد الرحمان بن محمد المعروف بابن مقلاش.
- شروح البردة وأثارها الأدبية واللغوية الشروح الجزائرية نموذجا لحمد بوسعيد.

المبحث الأول :
ضبط المصطلحات

سنحاول من خلال هذا المبحث ترجمة ابن مقلاش من خلال ذكر نشأته، وكذا التعرف على مختلف محطات حياته العلمية وأشهر مؤلفاته، ثم التعرف على البردة البوصيرية، ومفهوم البلاغة العربية.

المطلب الأول: ترجمة ابن مقلاش الوهراني.

بذل الباحث المغربي محمد مرزاق – رحمه الله – جهداً كبيراً في تسليط الضوء على حياة ابن مقلاش، مستفيداً من اطلاعه الواسع على الوثائق والمخطوطات والكتب التي تضمنت إشارات متفرقة إلى شخصيته وإسهاماته الفكرية، بما في ذلك نص شرحه المتوسط. ومع ذلك، فإن المعلومات المتوفرة عن تفاصيل حياته وجوانبها المختلفة لا تزال ناقصة، مما يستدعي المزيد من البحث والتنقيب لتقديم صورة شاملة ومتكاملة عن هذه الشخصية البارزة.

نشأته[1]:

يُرجَّح أن الاسم الكامل لهذه الشخصية هو: «أبو زيد بن محمد بن يوسف المعروف بابن مقلاش الوهراني، الشيخ الفقيه المفتي». ومع ذلك، ورد اسمه في كتاب المعيار للونشريسي مرة بلفظ «ابن مغلاش» بالغين، وهو ما يبدو أنه خطأ مطبعي، إذ ورد في مواضع أخرى بالاسم الصحيح «ابن مقلاش». كما أشار صاحب البستان إلى لقبه بـ«المقلش» أثناء حديثه عن «سيدي محمد بن عمر الهواري» (843هـ)، الذي يُحتمل أنه كان أحد شيوخ ابن مقلاش، استناداً إلى ما ذكره ابن مريم[2].

وقد أضفى كل من الونشريسي وابن مريم على اسمه لقبي «الفقيه» و**«الشيخ»**، مما يدل على مكانته العلمية والدينية العالية، واعتباره من وجهاء الصالحين. كما يتضح من نص شرحه تنوع مصادر ثقافته وتكوينه العلمي، حيث برع في علوم اللغة والتفسير والقراءات والحديث والفقه والفتوى والتاريخ، وغيرها من العلوم.

أما فيما يتعلق بمكان ولادته وتاريخها، وعمره، ووفاته فلا تزال هذه الجوانب غامضة. غير أن نص شرحه يشير إلى أنه أخذ علم البردة عن البيت الباديسي، حيث يقول: «وأما عن سبب نظم القصيدة، فما حدثنا به الشيخ أبو علي الحسن بن حسن بن باديس القسنطيني (ت787هـ)، عن أبيه أبي القاسم بن باديس، عن الفقيه الحافظ أبي محمد بن عبد الوهاب، عن ناظمها»[3]. . كما يظهر أنه تلقى العلم أيضا عن أبي زكريا يحيى المقري، فقيه بونة. ويتضح أن ابن مقلاش قضى مرحلة شبابه الأولى في الجزائر، حيث نهل من معين العلم وحاز قدراً وافراً منه، مما أهّله للانتقال إلى حاضرة غرناطة، التي كانت مركزاً علمياً وثقافياً بارزاً. ويُستدل على ذلك من إشارته في شرحه إلى أحد دروسه وحلقات تدريسه التي أقامها هناك.

يتضح من معالم نشأة ابن مقلاش أنه عاش في المغرب الأوسط خلال فترة حكم الدولة الزيانية، حيث برز كفقيه ومفتٍ. كما قضى جزءاً من حياته في الأندلس أثناء حكم بني الأحمر، واشتغل بالتدريس في الجامع الأعظم بمدينة غرناطة.

مؤلفاته:

يُعد ابن مقلاش من أبرز العلماء الذين قاموا بتدريس قصيدة البردة وأهم شُرَّاحها، حيث ألف ثلاثة شروح مختلفة عليها[4]:

1. الشرح الكبير: وهو الشرح الأول على البردة، وقد أشار إليه مراراً في شرحه المتوسط.

2. الشرح الصغير: الشرح الثاني على البردة، لم يبق منه سوى ورقة واحدة محفوظة ضمن مجموع بالخزانة الوطنية بالجزائر تحت الرقم (160).

3. الشرح المتوسط: الشرح الثالث والأكثر تداولاً.

إلى جانب شروحه على البردة، ترك ابن مقلاش

(1) ينظر: عبد الرحمان بن محمد المعروف بابن مقلاش، الشرح المتوسط للبردة البوصيرية، ت: محمد مرزاق، دار كردادة، للنشر والتوزيع، طبعة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011م، ج1، ص45-42.

(2) ينظر: أميرة خالدي وفاطمة الذهبي، القضايا البلاغية في الشرح المتوسط للبردة البوصيرية لابن مقلاش الوهراني، بحث مقدم لنيل شهادة الماستر، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة أدرار، 2012م/ 2013م، ص04-03.

(3) ابن مقلاش، ، الشرح المتوسط، ج 01، ص 05.

(4) ينظر: محمد بوسعيد، شروح البردة وأثارها الأدبية واللغوية الشروح الجزائرية نموذجا، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد الرابع، 2010م ص 12.

أعمالاً وتصانيف أخرى، منها:

1. شرح البرهانية: يحمل الكتاب اسم الدرر الوهرانية في شرح البرهانية، وقد ورد ذكره في الشرح المتوسط.

2. تصحيح كتاب الشهو: ذكر ابن مريم أن ابن مقلاش عمل على تصحيح كتاب الشهو للشيخ عبد الله سيدي محمد الهواري.

3. الفتاوى: جمع الونشريسي عدداً من فتاواه في كتاب المعيار.

4. الرسائل: أشار الباحث سعيد بن الأحرش، في دراسته الموسومة بـ بردة البوصيري في المغرب والأندلس، إلى أن ابن مقلاش كتب ثلاث رسائل وجهها إلى العلماء والفقهاء وجماعات المسلمين في بلاد الأندلس.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب «الشرح المتوسط للبردة البوصيرية»[1].

تُعد قصيدة البردة واحدة من أبرز القصائد التي حققت شهرة واسعة وانتشاراً كبيراً، حيث جرت على الألسنة وترددت في المجالس والمحافل والمنتديات. فهي قصيدة فريدة من نوعها، وأشهر ما كُتب في بابها، ومصدر إلهام للعديد من القصائد التي أُلفت بعدها، حيث جاءت معظمها تمثيلاً فنياً دقيقاً لها، ولم تستطع الإفلات من تأثيرها العميق.

أما شرح ابن مقلاش على البردة، فهو الأثر الكامل الوحيد الذي وصلنا من أعمال هذا العالم المغمور، والذي يبدو أن أغلب إنتاجه العلمي اليوم مفقود أو لا يزال محجوباً. يُعد هذا الشرح وثيقة أساسية تحافظ على ذكراه، كما أنه عمل علمي متكامل يتيح لنا فرصة ثمينة لرسم صورة أكثر وضوحاً عن شخصيته وإسهاماته.

منهجه العام: يتميز هذا الشرح بنهج مبتكر يماثل أسلوب ابن مرزوق الحفيد وعلي بن ثابت التلمساني، حيث يُعنى بشرح الأبيات بشكل شامل ومتكامل. يجمع الشرح بين تحليل المعاني ورفع اللبس عن الألفاظ، إلى جانب استعراض الجوانب البلاغية والنحوية والتاريخية.

تتبع ابن مقلاش منهجاً منهجياً في الشرح، حيث يبدأ كل بيت بعبارة «قال»، يعقبها البيت الشعري، ثم يفتتح الشرح بكلمة «شرح»، ويتناول أحياناً شرح الألفاظ أو مناقشة المعنى أو الإشارة إلى الأساليب البلاغية. غالباً ما يربط بين البيت وما سبقه، ما يُسهم في توضيح المعنى الكلي للنص.

في مقدمته للكتاب، أوضح ابن مقلاش رؤيته، حيث أشار إلى أنه اختصر الشرح على جوهر المعاني، مستعيناً بالقليل من علم البيان والإعراب. ويُعد هذا الشرح عملاً أصيلاً ومبتكراً، يمثل الاتجاه الأدبي الشمولي بامتياز. اللافت أن ابن مقلاش لم يعتمد على النقل من شروح سابقة، باستثناء بعض الشواهد، مما يعزز قيمته كعمل مستقل وفريد في ميدانه.

منهجه البلاغي[2]: يتسم منهج ابن مقلاش في شرح البردة بالتوازن بين التوثيق العلمي والاستطراد البلاغي، لكنه يعاني أحياناً من غموض في نسبة الأفكار، حيث يستخدم عبارات عامة مثل: «عند أرباب البيان» و«قال بعض الفضلاء». ومع ذلك، يتميز شرحه بالتوسع في مناقشة الأنواع البلاغية، عرضاً لتعريفات البلاغيين ومصطلحاتهم، وأحياناً

(1) ينظر: أميرة خالدي وفاطمة الذهبي، القضايا البلاغية في الشرح المتوسط، ص9-8.

(2) ينظر: أميرة خالدي وفاطمة الذهبي، القضايا البلاغية في الشرح المتوسط، ص10-9.

يحيل إلى شرحه الكبير لمزيد من التفصيل.

التوثيق والاستشهاد يشكلان ركناً أساسياً في منهجه، إذ يستند إلى القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر العربي، مع تركيز خاص على الشعر من مختلف العصور. رغم ذلك، يلاحظ أنه لا ينسب كل الأشعار إلى قائليها، مكتفياً أحياناً بعبارات عامة مثل: «قال الشاعر».

ويظهر ميله إلى نظم الشعر بنفسه لتوضيح الأفكار أو الدفاع عن أساليب الناظم. بشكل عام، يعكس منهجه عمقاً وتنوعاً في التعامل مع المادة البلاغية، لكنه بحاجة إلى مزيد من الدقة والتفصيل في بعض المواضع.

المطلب الثالث: التعريف بالبلاغة العربية.

1. **لغة:** نحاول في هذه الفقرة تقديم قراءة معجمية لمصطلح «ب ل غ» ؛ حيث نسعى بهذه المقاربة للبحث في أهم الإطلاقات اللغوية لهذا اللفظ؛ قصد تلمس المعاني الخفية الجامعة بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي، وقد تفاوتت تعريفات علماء اللغة المعاصرين منهم و القدامى لهذه المفردة ؛ وإن أجمعت على معنى الوصول والانتهاء؛ حيث أشار ابن منظور إلى هذا بقوله: «بلغ الشيء يبلغ بلوغا : وصل وانتهى وأبلغه هو إبلاغا و بلغه تبليغا، [...] و البلاغة : الفصاحة ، والبلغ: البليغ من الرجال ، ورجل بليغ وبلغ: حسن الكلام فصيحه؛ يبلغ بعبارة لسانه كنة ما في قلبه.»[1]

من أهم الاستنتاجات التي نخلص إليها من تعريف ابن منظور للبلاغة أنها تدور حول معنيين أساسيين؛ هما البلوغ والوصول، وكذلك تأدي مفهوم الفصاحة، أو الكلام الفصيح.

2. **اصطلاحاً:**

لتقديم صورة جلية وواضحة حول المفهوم الاصطلاحي للإعجاز، أخذنا بعض التعريفات لاستخلاص المفهوم الجامع بينها ، من بين هذه التعريفات قول ابن المعتز: «البلاغة هي أن تقرّب المعنى البعيد، وتجنب السامع التعقيد، وتختار اللفظ الذي لا يستكره، وتُصوّر المعنى تصويراً يقرب من الفهم، ويسهل على السامع»[2].

جاء بعدها الجرجاني الذي فصل أكثر في علم البلاغة، وأعطى تعريفا جامعا مانعا، جمع فيه مدلولات ومعاني البلاغة لكلام موجز قال فيه: «البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، مع فصاحته»[3]. وقد بنى جل العلماء على مر العصور تعريفاتهم انطلاقا من هذا التعريف واعتمدوه في دراساتهم.

وظهر كثير من المعاصرين الذين عنوا بدراسة البلاغة محاولين إيجاد تعريفات جديدة لها، من بينهم محمد بركات في قوله: «بلاغة الأحوال المطابقة للمقام مع تدرج الزمان والمكان ليتم التوصيل والتأثير ونقل ما في نفس المتفنن إلى المتلقي بتأثير، وبهذا تعرف دلالات المصطلحات في تنوعها في علم البيان، وسنسترشد بالمعاني في علم المعاني وتربط بين الحس المعنوي واللفظي في صورة الإتقان البلاغي وجمالياته، ونصعد أكثر في

(1) ابن منظور محمد أبو الفضل، لسان العرب، دار صاد للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1992م، ج 2، ص143.

(2) ابن المعتز أبو العباس عبد الله، كتاب البديع (العلم الخفاق من علم الاشتقاق)، ت: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 2012م، ص34..

(3) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، [د.ت]، ص 512.

هـذه النظـرة إلى معرفـة الـدلالات الداخليـة للصـورة البلاغيـة في المصطلـح الواحـد.»[1]

انطلاقا مـن هـذه التعريفـات جـاء تقسـيم البلاغـة الحديـث أنهـا عـلى ثلاثـة أقسـام هـي: «علـم المعـاني ويعتمـد عـلى ثلاثـة أسـاليب في التعبـير عـن المعـاني التي يريـد المتكلـم أو الكاتـب توصيلهـا إلى الآخريـن، وهـي: الإيجـاز، والإطنـاب و المسـاواة .

علـم البيـان: وتجـده يبحـث في المجـاز بأنواعـه: التشـبيه والاسـتعارة والمجـاز المرسـل والمجـاز العقـلي، كـما يبحـث في الكنايـة .

علـم البديـع: ويـدرس وسـائل تحسـين الـكلام المطابـق لمقتـضى الحـال ، وهـذه الوسـائل منقسـمة إلى محسـنات معنويـة هدفهـا تحسـين المعنـى ، ومحسـنات لفظيـة تهـدف إلى تحسـين اللفـظ.»[2]

إذن نستطيع تقسيم البلاغة وفق المخطط التالي:

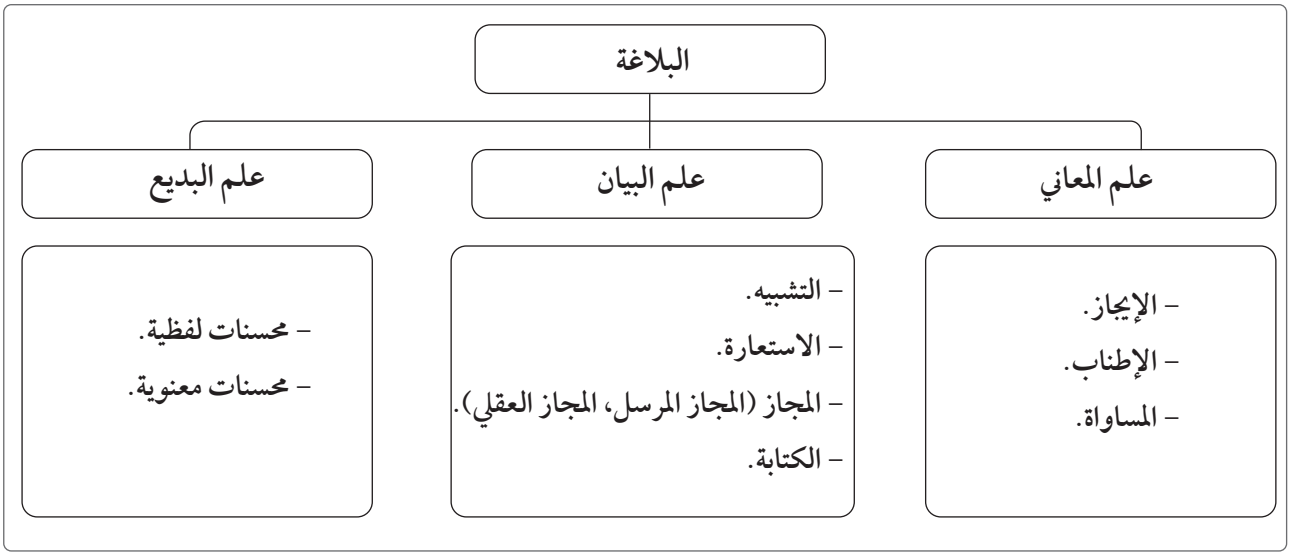

المبحث الثاني:
القضايا البلاغية في شرح ابن مقلاش.

المطلب الأول: علـم المعـاني في الـشرح المتوسـط للـبردة البوصيريـة.

أولى ابـن مقـلاش الوهـراني علـم المعـاني قـدرا ملحوظـا مـن العنايـة والـدرس؛ حيـث ظهـر جليـا في كثـرة ورود مباحـث هـذا القسـم مـن أقسـام البلاغـة؛ منهـا:

1. **الإنشـاء والخـبر:** ذكـر ابـن مقـلاش احتـواء نـص الـبردة كلا الأسـلوبين: الخـبري والإنشـائي، وذكـر عـدة أمثلـة في هـذا المقـام؛ منهـا:

أ- **الإنشـاء:** كانـت لـه التفاتـات لأسـاليب الإنشـاء كالاسـتفهام والنـداء، والحـض والتحضيـض، والتمني[3]، وغـير ذلـك مـن أسـاليب الإنشـاء الطلبي وغـير الطلبـي.

فمـن إشـاراته في بـاب الاسـتفهام، مـا أورده

(1) محمـد بـركات، دراسـة في الإعجـاز البيـان ، دار وائـل الطباعـة والنـشر ، [د.ط]، 2000م، ص204-203.

(2) نبيـل راغـب، موسـوعة الإبـداع الأدبي، دار نويـا للطباعـة، مـصر، ط1، 1996م، ص92.

(3) ينظـر: ابـن مقـلاش، الـشرح المتوسـط، ج 01، ص 53، و ج 02، ص 719، 665.

في شرحه للبيت الأول من البردة؛ إذ يبين أوجه الاستفهام التي يحتملها معنى البيت، مع الاستشهاد لكل وجه من الشعر، لغرض التوضيح والتقريب؛ إذ يقول: «افتتح الناظم هذه القصيدة بصيغة الاستفهام، ومعناه التعجب والتعجب بصيغة الاستفهام كثير في كلامهم؛ قال بعض شعر الهم:

يا عجبا لهذه الفليقة ... أَيَذْهن القوباء الريقة

استغرب العربي من هذا، وكأن الناظم تعجب من مرج الدمع بالدم من تذكر الحيوان.»[1]

يرى ابن مقلاش أن استفهام الناظم يحتمل غرض التعجب أو ما يعرف باستفهام التعجب عند البلاغيين.

ب- الخبر: يبين ابن مقلاش أغراض الخبر المستفادة من السياق، وقرائن الحال من خلال شرحه لبيت الناظم:

لولا الهوى لم ترق دمعًا عَلَى طلل

ولا أرقت لذكر البانِ والعلم.[2]

إذ يقول : «وفي هذا كله من البلاغة ما لا يخفى، ففيه العلم بفائدة الخبر، والعلم بلازم فائدته، وهو من حسن البديع المستعمل عند فصحاء أرباب الصناعة الأدبية [...].»[3]

والناظر في هذه العبارة يلفي أن مقرر أغراض الخبر عند البلاغيين هما: إنما إفادة المخاطب بأمر إذا كان جاهلاً له، وإما إفادته أن المتكلم له علم أيضا بشيء يعلمه، ويسمى الأول: بفائدة الخبر، والثاني : بلازم الفائدة.

2. **الفصل والوصل:**

يعتبر الفصل والوصل من أهم أبواب البلاغة لما له من مزايا في فصاحة الكلام و بلاغته؛ فقد وقف الشارح في النص السالف على حقيقة كل من الفصل والوصل، وأن معرفتهما لا تكون إلا عند من له باع في البلاغة والفصاحة، ثم بعد ذلك يستطرد في المواضع التي يصح فيها كل من الفصل والوصل بالنظر إلى وضع البيت والبيتين اللذين قبله، وهي:

وكيف تدعو إلى الدُّنْيَا ضرورة من

لولاه لم تخرج الدُّنْيا من العدم

محمد سيد الكونين والثقلي

ن والفريقين من عرب ومن عجم.

نبينا الآمر الناهي فلا أحد

أبر في قول لا منة ولا نعم.[4]

حيث يشير إلى أن العطف بين هذه الأبيات لا يتصور إلا على إحدى الجملتين التي يتشكل منهما البيت الأول؛ فأما عن الجملة الأولى منه التي ورد فيها استفهام؛ يقول: «والعطف لا يصح، لأنه يرد في عطف الجملة الإنشائية على الجملة الخبرية وهو ممنوع».[5]

وهذه من الصور التي رأى البلاغيون فيها بوجوب الفصل وتحقق كمال الانقطاع، وهي ثلاث صور كالآتي:[6]

1. إذا اختلفت الجملتان لفظا وأسلوبا، أي إنشاء وخبرا.

2. إذا اختلفتا معنى فقط، أي انشاء وخبرا، واتفقتا لفظاً مثل: «قال فلان رحمه الله»، فالجملتان «قال فلان» و «رحمه الله» خبريتان لفظاً، مختلفتان

(1) ابن مقلاش، الشرح المتوسط، ج01، ص 08.

(2) ديوان البوصيري، شرح وضبط وتقديم: عمر الطباع، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، [د.ط]، [د.ت]، ص212.

(3) ابن مقلاش، الشرح المتوسط، ج01، ص50.

(4) البوصيري، ديوان البوصيري، ص214.

(5) ابن مقلاش، الشرح المتوسط، ج01، ص212.

(6) ينظر: بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، 2004م، ص268-269.

معنى؛ إذ الأولى خبر والثانية إنشاء وهو الدعاء.

3. أن تتفق الجملتان لفظا ومعنى، ولكن يغيب الجامع بينهما، أي بغياب المناسبة أو التناسب الذي يصح به العطف، فالجملتان متفقتان في الخبرية لفظا وأسلوبا، ولكن لا يوجد الجامع الذي يصحح عطفهما.

3. الإيجاز والإطناب:

تختلف أساليب الكلام طولاً وقصرا، بحسب مقتضى الحال ومراعاة المخاطب إلى ثلاثة أنواع: الإيجاز، و الإطناب، والمساواة.

ولم يفت ابن مقلاش أن يقف عند هاته الأساليب مقياساً لبلاغة ما يقف عليه من تراكيب، ولعل أغلب تناوله لها من حظ الإطناب والإيجاز دون المساواة؛ وقد يرجع هذا إلى أن المساواة هي الأصل في الكلام في حين الإطناب والإيجاز عدول عنها.

أ. الإيجاز: يشير ابن مقلاش إلى أغراض الإيجاز بالحذف من ذلك غرضين هما: الاختصار والاقتصار، اللذان أشار إليهما في معرض شرحه لبيت الناظم:

وألبَسَتْ حُللاً من سندس ولوت

عَمَائِمًا بِرُؤُوسِ الهَضَبِ والأكم.[1]

يقول: «وحذف مفعول (ألبست)، وهو من حذف الاختصار لا من حذف الاقتصار هنا، فإنه مدلول عليه بقوله: (وَلَوَتْ عَمَائِمًا، برأس الغضب والأكم)، لأن عمم ألبس، أي ألبست جسم الأرض، وهو وهدها، وعممت رؤوسها، وهو وعرها.»[2]

ويفهم من هذا أن حذف الاختصار يتوقف على وجود القرينة الدالة على المحذوف، في حين لا يكون ذلك مع الاقتصار. ولعل ما يسميه النحويون بالحذف للاقتصار؛ هو ما يصطلح عليه البلاغيون «إيجاز القصر»، لأن من شروط إيجاز الحذف عند البلاغيين وجود داع إلى الحذف، وقرينة تدل على المحذوف.

ب. الإطناب: للإطناب أنواع كثيرة وصور مختلفة، والتفاتات عديدة، ذكر أغلبها ابن مقلاش؛ وهذه الأنواع هي: التكرار، والتكرير، والاعتراض، والحشو، والتكميل، والتتميم، والإيغال، وذكر الخاص بعد العام.[3]

فمن حديثه عن التكرار والتكرير ما نص عليه في معرض شرحه لبيت البوصيري:

ولا أعارتك ثوبي عبرة وضنى

ذكرى الخيام وذكرى ساكن الخيم.[4]

بقوله: «في هذا البيت نوع يقال له : (التكرير) عند البيانيين، ويقال له: (التكرار) واعلم أنه يحسن في مواضع ومواضع يقبح فيها، وأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل. والصحيح أن التكرار غير التكرير فالتكرار هو تكرار اللفظ بعينه، بمعناه الأول أو بمعنى آخر[...] وأما التكرير: فهو كما هنا، فإن قوله : (لم ترق دمعاً على طلل ولا أرقت لذكر البانِ والعلم) هو: (ولا أغارتك ثوبي عَبْرَةٌ وَصَلَّى، لأن المذكورين هنا هما المفهومان في البيت قبلة لكين فيه بلاغة عظيمة.»[5]

---

(1) ابن مقلاش، الشرح المتوسط، ج02، ص501، لا يوجد في الديوان ولعله من الأبيات المزادة للبردة كزوائد أبو عبد الله محمد بن الجياب الغرناطي، أشار ابن مقلاش في أبيات أخرى أنها من زوائده، ووصفها بأنها في غاية التناسب، ينظر، المصدر نفسه، ج2، ص479.

(2) ابن مقلاش، الشرح المتوسط، ج01، ص502.

(3) ينظر: ابن مقلاش، الشرح المتوسط، ج 01 ص159 ـ 163.

(4) المصدر نفسه، ج01، ص56. لا يوجد البيت في الديوان.

(5) المصدر نفسه، ج01، ص56.

نتيجة:

ومما سبق تلمح أن المؤلف قد طرق معظم مباحث علم المعاني، فقد كان في بعضها مستطردا بالتوضيحات والاستشهاد من القرآن الكريم، والشعر العربي غالباً، أو النقل عن البلاغيين، وفي بعضها الآخر يكتفي بالإشارة إلى النوع البلاغي مع غرضه أو بدونه، ولعله كما هو ملاحظ هذا هو الغالب فيما يخص مباحث علم المعاني.

المطلب الثاني: علم البيان عند ابن مقلاش

يعرف الخطيب القزويني (ت 780هـ) البيان بأنه: «علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.»[1]؛ أي أنه يُعنى بالتعبير عن دلالة واحدة بصيغ متعددة، مع تحسين وضوح الدلالة وإيصال الفكرة بطرق متنوعة، وله ثلاث مباحث هي:

1. المجاز:

من أساليب البيان المجاز، وهو كما يعرفه ابن أبي الأصبع (654-585هـ) بأنه: «خلاف الحقيقة، والحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة من أحق الأمر يحقه إذا أثبته أو من حققته إذا كنت منه على يقين، وإنما سمي خلاف المجاز بذلك لأنه شيء مثبت معلوم بالدلالة[...]؛ فإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز.»[2]

ومن المعلوم أن العلماء قد اختلفوا في أصل وقوع المجاز في اللغة والقرآن الكريم، وقد أشار ابن مقلاش إلى هذا الاختلاف في تحليله للبيت الأول من البردة يقول: «ووصف الناظم على لسان السائل الباكي بأنه مزج الدمع، ليس المزيج مما عاناه الباكي حتى يكون من فعله المسند إليه نوعاً من الإسناد التركيبي). ولأرباب علم البيان في إثبات هذا النوع من الإسناد خلاف يعده بعضهم من المجاز الإسنادي). ونفاه آخرون وقالوا: المجاز في التركيب بعيد ومذهب عبد القاهر إثباته، والشيخ عبد القاهر ممن يعتني به في هذا العلم، واستبعده بعض المتأخرين.»[3]

يأخذ النص مفهوم «المجاز الإسنادي» ، يُصنف البلاغيون المجاز إلى نوعين رئيسيين: المجاز العقلي، المجاز اللغوي. والمجاز اللغوي: هو نقل الكلمة من معناها الحقيقي لمعنى آخر لعلاقة بينهما.[4] وهو نوعان هما:

أ- المجاز المرسل: وقد عرف بأنه: «الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الوضعي.»[5]

ومن إشارات ابن مقلاش للمجاز المرسل ما جاء في شرحه لقول الناظم:

وَالنَّارُ خَامِدَةَ الْأَنْفَاسِ مِن أسف
عَلَيْهِ، وَالنَّهْرُ سَاهِي العَيْنِ مِنْ سَدَم.[6]

يقول: «والنهر : هو الشق، لكن يطلق على مائه من مجاز المجاورة كجري الميزاب ونحوه.»[7]

ب- الاستعارة: ويعرفها السيوطي (ت 911هـ)

(1) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، [د.ط]، [د.ت]، ص215.

(2) ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن، ت: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، [د.ط]، [د.ت]، ص175.

(3) ابن مقلاش، الشرح المتوسط، ج01، ص19.

(4) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ت: محمد فاضلي، دار الأبحاث، ط1، 2007م، ص192.

(5) المصدر نفسه، ص217.

(6) البوصيري، ديوان البوصيري، ص215.

(7) ابن مقلاش، الشرح المتوسط، ج01، ص367.

بقولـه: «هـي أن يضعـوا الكلمـة للـشيء المسـتعار مـن موضـوع آخـر، فيقولـون: انشـقت عصاهـم، إذا تفرقـوا، وكشـفت عـن سـاقها الحـرب.»[1]

ومن أمثلة الاستعارة للبصيري ما يلي:

ولـما تَلاقَيْنَـا وَجَـدْتُ بَنـانَهَا
مـخضّبَةً تَحْكِي عُصَارَة عندم.[2]

ومـن التفاتـات ابـن مقـلاش للاسـتعارة مـا قالـه في شرحـه لهـذا البيـت مـن البـردة، فيـما يخـص مـزج الدمـع بالـدم، بقولـه: «أمـا مـا قـال المؤلـف فإنـه خـارق للمعتـاد، إذ جريـان الـدم عوضـاً عـن الدمـع مسـتحيل عـادة، لكـن هـو أبلـغ في بـاب (الاسـتعارة) إذ هـو أبلـغ وقـد نهـج النـاس بهـذه النزعـة»[3].

2. **الكنايـة**: مـن مباحـث علـم البيـان: الكنايـة، وهـي تـرك التصريـح بالـشيء إلى مـا يسـاويه في اللـزوم لينتقـل فيـه إلى الملـزوم، كـما يقـال: فـلان طويـل النجـاد أي طويـل القامـة، وسـميت كنايـة لمـا فيهـا مـن إخفـاء وجـه التصريـح.[4]

وقـد التفـت ابـن مقـلاش إلى هـذه القضيـة البلاغيـة أثنـاء شرحـه لبيـت البوصـيري الـذي جـاء فيـه:

يَـجُـرُّ بَحْـرَ خَـمِيسٍ فَـوْقَ سَـابِحَـةٍ
يرمي بمَـوْجٍ مِـنَ الْأَبْـطَـالِ مُلْتَطِم.[5]

يقـول ابـن مقـلاش: «واسـتعماله هنـا (البحـر) لسـعة أقطـاره، وتـرادف أمواجـه وازدحامهـا وترادفهـا بعضًـا إثـر بعـض، والبحـر تكنـي بـه العـرب عـن كل مـا يقصـدون المبالغـة في وصفـه بالمتعـة في خاصـة مـن خواصهـم.»[6]

فالبحـر يكنـى بالاتسـاع والعظمـة؛ فوصفـه بهـذا الوصـف لمـا فيـه مـا يقـارب ويشـابه صفاتـه، ومنـه فهـذه الكنايـة هـي كنايـة عـن صفـة.

3. **التشـبيه**: مـن مباحـث علـم البيـان أسـلوب التشـبيه، وهـو بـاب واسـع ذو مباحـث متعـددة وصـور كثـيرة، تمتـاز بأثرهـا في تأكيـد المعـاني وتحسـين وقعهـا في النفـوس، ويعرفـه العسـكري بقولـه: «التشـبيه الوصـف بـأن أحـد الموصوفـين ينـوب متـاب الآخـر بـأداة التشـبيه نـاب التشـبه منابـه أو لم ينـب، وقـد جـاء في الشـعر وسـائر الـكلام بغـير أداة التشـبيه.»[7]

وقـد عـرف بحـث التشـبيه عنـد ابـن مقـلاش توسـعا مـن ذلـك تجـده يـورد تعريفـاً للتشـبيه بنـص مـن كتـاب (العمـدة) لابـن رشـيق؛ إذ يقـول: «وفي البيـت: التشـبيه، والتشـبيه صفـة الـشيء بـما قارنـه وشـاكله مـن جهـة واحـدة، أو مـن جهـات كثـيرة، لا مـن جميـع جهاتـه، لأنـه لـو ناسـبه مناسـبة كليـة لـكان سـوى هـذا مـن صفـرَة وَسَـطِهِ وخـضرة كَمَالِـهِ. وكـذا قولهـم: فـلان كالبحـر، إنـما يريـدون كالبحـر سـماحة»؟

وقـد سـاق هـذا التعريـف للتشـبيه؛ لإسـقاطه عـلى مـا جـاء مـن تشـبيه في بيـت الناظـم :

من لي بِرَد جَمَـاحٍ مِـنْ غِـوَايَتِـهَا
كـمَا تُـرَدُّ جـماحُ الـخَيْلِ بِـاللـجـم ![8]

حيـث يقـول : «وكـذا تشـبيه البيـت إنـما هـو في مطلـق الجـماح لكـن لا مـن جميـع الوجـوه، لأن جمـاح

(1) جلال الديـن السيوطي، المزهـر في علـوم اللغـة وأنواعها، شرح وتعليـق: محمـد جـاد المـولى بـك وآخـرون، المكتبـة العصريـة . بـيروت، [د.ط]، 1995م، ص01، ص231.

(2) يزيـد ابـن معاويـة، ديـوان يزيـد ابـن معاويـة، ت: واضـح الصمـد، دار صـادر، بـيروت، ط1، 1998م.

(3) ابن مقلاش، الشرح المتوسط، ج 01 ص 14 .

(4) ينظـر: شرف الديـن الحسـين بـن محمـد بـن عبـد الله الطيبـي، التبيـان في البيـان، ت: يحيـى مـراد، دار الكتـب، العلميـة، بـيروت، ط1، 2004م، ص121.

(5) البوصيري، ديوان البوصيري، ص219.

(6) ابن مقلاش، الشرح المتوسط، ج2، ص 672.

(7) أبـو هـلال العسـكري، الصناعتـين، ت: عـلي محمـد البجـاوي ومحمـد أبـو الفضـل ابراهيـم، دار إحيـاء الكتـب العربيـة، ط1، 1952م. ص239.

(8) البوصيري، ديوان البوصيري، ص213.

الخيل يداوى وهذا شيء عسير المداواة.»[1]

وما يلمس من تناول ابن مقلاش لفن التشبيه، إحاطتة بزوايا مختلفة منه؛ وذلك من خلال رصده لمصطلحاته، وإيراد نصوص علماء البلاغة كابن رشيق، إلى جانب الاستئناس بالاستشهاد من الشعر وكلام العرب.

ملاحظة: من بين مباحث البلاغة علم البديع، وأكيد أن ابن مقلاش لم يغفل عن هذه الجزئية؛ كون الالتفات إليها من الأمور السائدة في شرح البردة، وسنعرض مثالا عنها حتى يتضح المقال.

وقد حفل الشرح المتوسط بالحديث عن أنواع جملة من المحسنات البديعية في مواضع متفرقة، بل ونلمس حرصه الشديد على تعقبها وإرفاقها بتعريف البلاغيين لها أحياناً، وذكر أنواعها ومصطلحاتها، وأحياناً يتطرق لأوجه الاختلاف بين العلماء فيها. وكذا الاستشهاد أحيانا لها من القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر؛ ومن أمثلة ذلك:

فما لعينكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا
وَمَا لِقَلْبِكَ إِذْ قُلْتَ اسْتَفِق يهم.[2]

إذ يقول بعد التدقيق والاستدلال بالتمثيل : «لكن حصل للناظم في البيت بتلك اللغة التي ارتكب اختصار، وطباق، ومقابلة، ومراعاة النظير، وجناس، فله العذر، إذ الناظم يتمسك بأدنى لغة.»[3]

نستنتج مما سيق في هذا المقام من تناول ابن مقلاش لعلم البديع تحديداً لا يُعد إلا غيضاً من فيض، إذ ليس المقصد تتبع ذلك والإحاطة به وإنما محاولة رصد صورة عن توظيفه له ومعالجة قضاياه.

نتيجة:

يمكن أن نستنتج أن ابن مقلاش في شرحه لبردة البوصيري اهتم بالمباحث البلاغية بتركيز واضح على تحليل جماليات النص الشعري، وذلك يظهر في تنوع الأساليب البلاغية. ومن أبرز معالمه اهتمامه بالبيان والتصوير الفني؛ حيث ركز على تحليل الصور التي تضمنتها الأبيات الشعرية من تشبيهات عربية وكنايات، وبين مدى مساهمتها في بلاغة السياق؛ من حيث تزايد المعاني، وإيقاع الجمال على النص.

خاتمة:

بعد رحلة مضنية في شرح ابن مقلاش في محاولة منه لتبيين مختلف المباحث البلاغية التي احتواها نص البردة البوصيرية، وتتبع مختلف المحطات التي توقف عندها، وبرغم كثرتها، وتشعب مسالكها ومعاقدها ؛ إلا أن ابن مقلاش انفرد بآراء بلاغية خلال شرحه اتسمت بالشمولية؛ وقد تضافرت في بناء هذا الشرح لبنات معرفية مختلفة الموارد من قرآن، حديث نقد، لغة، نحو، بلاغة، فقه، تفسير، طب، تاريخ ...؛ فكان له من طاقات هذه العلوم ما هو كفيل بإشباع فضول طالب العلم، وتهذيب ذائقيه، كما اصطبغ الكتاب بالصبغة التربوية؛ إذ وشح بنصوص ذات قيمة روحية مهذبة للنفوس والسلوك؛ والمختار من هذه المقاربة العلمية جملة من النتائج ندونها وفق الآتي :

- كان منهج ابن مقلاش في البلاغة مزيجاً بين المنهج الأدبي الذي يقوم على وفرة الشواهد، والمنهج اللغوي باستقصائه للكلمات ولو عرفت، والمنطقي من خلال اعتماده على الجدل والمناقشة، وأما التعليمي فيتجلى في المنهجية التي اعتمدها

(1) ابن مقلاش، الشرح المتوسط، ج01، ص120-121.
(2) البوصيري، ديوان البوصيري، ص212.
(3) ابن مقلاش، الشرح المتوسط، ج01، ص37.

الشارح: كتكرار المفاهيم، واستحضار القاعدة.

• حرص ابن مقلاش على مناقشة المسائل البلاغية مبرزاً وناقلاً مذاهب وأقوال البلاغيين حولها كالجرجاني وابن رشيق،... مما يبين استفادته من التراث البلاغي.

• اتسم منهج ابن مقلاش البلاغي بأنه لم يترك علماً من علوم البلاغة إلا وطرقه بالإشارة والحديث، وإن كانت متناثرة حسب ما يستدعيه الشرح، مما يدل على تصوره النظري لتقسيمات المباحث البلاغية، وبناء شرحه على ذلك.

• يعد هذا المد الزاخر من جهود الشارح ميراثا كبيرا، له أكبر الأثر في إثراء المكتبة البلاغية واللغوية، وكذا النقدية والأدبية.

التوصيات:

1. ضرورة العناية بشروح المتون التراثية لاكتشاف منهجياتها البلاغية المتعددة.

2. اعتماد المقاربة التعددية في تحليل النصوص، على غرار منهج ابن مقلاش.

3. إعادة قراءة التراث البلاغي في ضوء المناهج الحديثة مع احترام خصوصيته.

4. إجراء دراسات مقارنة بين شروح البردة لإبراز تنوع المعالجات البلاغية.

5. تحقيق مؤلفات ابن مقلاش الأخرى -لاستكمال مشروعه العلمي-.

6. تشجيع دراسة شروح الشعر الصوفي التي تمزج بين البلاغة والروحانية.

7. التركيز على تحليل البعد المنهجي في شروح التراث البلاغي والنقدي.

المصادر والمراجع:

الكتب:

1. ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن، ت: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، [د.ط]، [د.ت].
2. ابن المعتز أبو العباس عبد الله، كتاب البديع (العلم الخفاق من علم الاشتقاق)، ت: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 2012م.
3. ابن منظور محمد أبو الفضل، لسان العرب، دار صادللطباعةوالنشر،ط1،لبنان،1992م.
4. أبو هلال العسكري، الصناعتين، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952م.
5. البوصيري، ديوان البوصيري، شرح وضبط وتقديم: عمر الطباع، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، [د.ط]، بيروت لبنان، [د.ت].
6. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، دار الكتب العلمية، [د.ط]، بيروت – لبنان، [د.ت].
7. بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، 2004م.
8. جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك وآخرون، المكتبة العصرية، [د.ط]، بيروت، 1995م.
9. شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، التبيان في البيان، ت: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2004م.

10. عبد الرحمان بن محمد المعروف بابن مقلاش، الشرح المتوسط للبردة البوصيرية، ت: محمد مرزاق، دار كردادة للنشر والتوزيع، طبعة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011م.
11. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ت: محمد فاضلي، دار الأبحاث، ط1، 2007م.
12. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، [د.ت].
13. محمد بركات، دراسة في الإعجاز البيان ، دار وائل الطباعة والنشر ، [د.ط]، 2000م، ص 204-203.
14. نبيل راغب، موسوعة الإبداع الأدبي، دار نويا للطباعة، ط1، مصر، 1996م.
15. يزيد ابن معاوية، ديوان يزيد ابن معاوية، ت: واضح الصمد، دار صادر، ط1، بيروت، 1998م.

الرسائل و المقالات:

1. حمد بوسعيد، شروح البردة وأثارها الأدبية واللغوية الشروح الجزائرية نموذجا، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد الرابع، 2010م.
2. أميرة خالدي وفاطمة الذهبي، القضايا البلاغية في الشرح المتوسط للبردة البوصيرية لابن مقلاش الوهراني، بحث مقدم لنيل شهادة الماستر، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة أدرار، 2012م/ 2013م.